

أضواء البيان

@ 126 أن الضنك في اللغة : الضيق . ومنه قول عنترة : وَمَنْ أَطْلَمُ مِمَّنْ
ذُكِّرَ بِأَيَّاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا { الآيات الموضحة نتائج الإعراض عن ذكر
[] تعالى الوخيمة . فأغنى ذلك عن إعادته هنا . وقد قدمنا هناك أن منها المعيشة الضنك .
واعلم أن الضنك في اللغة : الضيق . ومنه قول عنترة : % (إنَّ يُلَاحِقُوا أَكْرَرُ وَإِنْ
يُسْتَلْحَمُوا % أَشَدُّ وَإِنْ يُلَافُوا بِضَنْكٍ أَنْزَلِ) % .
وقوله أيضاً : وقوله أيضاً : % (إنَّ المنيَّةَ لو تُمَّ ثَلْ مِثْلَ ثَلَاثِ % مثلى إذا نَزَلُوا
بِضَنْكِ الْمَنْزِلِ) % .

وأصل الضنك مصدر وصف به ، فيستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وبه تعلم أن
معنى قوله { مَعِيشَةً ضَنْكاً } أي عيشاً ضيقاً والعياذ بـ[] تعالى . .
واختلف العلماء في المراد بهذا العيش الضيق على أقوال متقاربة ، لا يكذب بعضها بعضاً .
وقد قدمنا مراراً : أن الأولى في مثل ذلك شمول الآية لجميع الأقوال المذكورة . ومن الأقوال
في ذلك : أن معنى ذلك أن [] عزَّ وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة ، والتوكل على [] ،
والرضا بقسمته فصاحبه ينفق مما رزقه [] بسماح وسهولة ، فيعيش عيشاً هينئاً . ومما يدل
على هذا المعنى من القرآن قوله تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّمَّنْ ذَكَرَ أَبُو
أُذَيْثٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَحْزَنْهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ } ، وقوله تعالى : {
وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَّاعاً
حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى } ، كما تقدم إيضاح ذلك كله . .

وأما المعرض عن الدين فإنه يستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من
الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق ، فعيشة ضنك ، وحاله مظلمة . ومن
الكفرة من ضرب [] عليه الذلة والمسكنة بسبب كفره ، كما قال تعالى : { وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَالِكِ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } . وذلك من العيش الضنك بسبب
الإعراض عن ذكر [] . وبين في مواضع آخر أنهم لو تركوا الإعراض عن ذكر [] فأطاعوه تعالى
أن عيشهم يصيروا واسعاً وغداً لا ضنكاً ، كقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَآكَلُوا مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } ، وقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّنَّ أَهْلُ
الْقُرْآنِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالَا تُرْضَ { ، وكفوله تعالى عن نوح : { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا { ،
وقوله تعالى عن هود : { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى